ونفس الشيء بدرجات شتى عن سائر الاقطار العربية الاخرى . لقد تحولت دعوة العروبة والانتماء الى العائلة العربية الواحدة الى دعوة الى الوحدة العربية .وبصرف النظر عن النتائج والاخطاء ، الا ان مجرد طرح هذه الدعوة الجديدة بمحتواها الجماهيري الكاسح كان اعلاء لفكرة القومية العربية من مجرد فكرة الى تحديد هدف اكثر وضوحا . والهدف هنا حتى وان لم يتحقق في شكله النهائي ، الا أنه عادة يحكم حركة الاحداث ، اذ يضبط حركتها نحو هذا الهدف ، او يجعل من هذا الهدف مهما كان بعيدا « بوصلة » تهتدي بها الحركة السياسية بوجه عام .

وفي خضم هذا التحول اختفت حركات الوحدة القطرية ، التي طالما دارت الاحداث السياسية حولها قبل وبعد ١٩٤٨ . لم تعد فكرة سوريا الكبرى مثلا تحمل نفس الجاذبية بدخول مصر الى الساحة وبريق الوحدة الاشمل . كما لم تعد فكرة وحدة وادي النيل هي كل هم مصر ، بعد أن أخذت تنظر الى وشائجها العربية في كل اتجاه. ولم تعد الوحدات العائلية كالوحدة تحت التاج الهاشمي واردة . كل هذه تخطاها الزمن بسرعة . وكان أكبر ما عجل بحركة الزمن هنا هو وقع الدرس الفلسطيني في الضمير العربي ، ووصول الم هذا الدمل الاسرائيلي الى شتى أطراف الجسم العربي مهما بعدت . ومع مرور الزمن والاحداث صار الوعي بالانتماء العربي شاملا . لا تستطيع سلطة ان تتجاهله من الخليج الى المحيط ، بل كثيرا ما كانت النظم تتقوى به على مشاكلها الداخلية ، وهذا وان كان مردودا سلبيا من جهة ، الا ان دلالته على تعمق الاحساس العربي واضحة .

كذلك عادت الحركات الوطنية العربية الى معاركها القطرية ، أكثر راديكالية ، أكثر جذرية .

لقد اسقطت تلك المواجهة العربية الاسرائيلية الاولى نظام ما بين الحربين في المنطقة بأسرها ، وفي الاقطار المحيطة بفلسطين بوجه خاص .

انتهت مرحلة الاكتفاء بالاستقلال الشكلي ، الذي هو راية وحكومة وسفارات وعضوية في الامم المتحدة . وصار معنى الاستقلال هو التخلص من القواعد العسكرية ومن النفوذ الاجنبي ومن سطوة رأس المال الاجنبي ، واقامة استقلال سياسي وفكري واقتصادي حقيقي .

انتهت المرحلة الليبرالية ، التي كان قد فصلها لنا الغرب ، وكانت أمل الذين ناضلوا في المرحلة السابقة . انتهت لان الجماهير اكتشفت نهائيا انها ليبرالية شكلية ، غير حقيقية ، بعيدة تماما عن الديمقراطية الحقيقية .

فهي ليبرالية تعطي برلمانات شكلية ، اعضاؤها وحكامها من أبناء الاسر الاقطاعية التي تتوارث النفوذ ، ومصيرها وحلها وربطها اما بيد القصر او بيد السلطة الاجنبية ظاهرة أو خفية . ومعسكرات القوات الاجنبية او المعاهدات السياسية والعسكرية تعطي للاجنبي حقا خفيا في استخدام الفيتو ضد أي شيء يزعجه .

كذلك فقد كانت ليبرالية تندثر في عباءة المعسكر الغربي ، وتحتمي بدرع الدول التي أقامت اسرائيل بالذات . فهي تقلد ذلك المعسكر تقليدا ببغائيا في مظاهر نظامه السياسي ، ولكنها في حقيقة الامر خاضعة له ، حتى في حالة الحرب التي هي أخطر